لواء السماوة ولواء المرجاء

— ٣ —

بقلم : يعقوب سركيس .

وفي مطالع السعود لابن سند المتوفى في سنة ١٢٤٢ « ٢٧ — ١٨٢٦ » في مختصره للحلواني الص ٥٩ — ٦١ » ماموجزه من اخبار هذه السنة وهو ان الشيخ عقيلا قدم فيها الى بغداد فقلده الوالي داود باشا مشيخة المنتفق وغادر بغداد في اول ربيع الاول ووصل الى ديرته بعد ان جرى ماجرى وفي الخزانة العباسية لال باش اعيان في البصرة مخطوط اسمه مزيد السرور ومزيل الحزون في مدح الشيخ عجيل بن محمد السعدون لمؤلفه عبدالنبي بن رضى البغدادي وقد ابتدأ فيه باخبار هذا الشيخ في سنة ١٢٤٢ وانتهى منه في سنة ١٢٤٥ ويتخلل نثره قصائد جميعها مدح وثناء عليه

ومما جاء في رحلة واستد البريطاني « ١٨٠٠١ » انه مر بالشيخ عجيل في شتاء ٣١ — ١٨٣٠ وروى لنا استقباله اياه واجلاسه بجانبه ثم قال : وقد ساعدني السكوت المخيم بضع ثواني علي ان ابعث نظرة تفحص هيئته فرأيتها تنم عن النبل العربي الذي لم يسبق لي أن رأيت مثله قبلا . وهو طويل القامة وشكله يدل على مقدرته على القيادة . وكان لابساً بدلة ثمينة متهدلة من الحرير الاصفر وعلى كتفيه عباءة وعلى رأسه كفية من الحرير الاحمر والاصفر [١٦] تاركة خصلات من الشعر متدلية مسترسلة « ١٧ » . وهيئته تنم عن لطف وانس ورفعة :

ثم كان قدوم صاحب الرحلة الى بغداد وقص علينا مصرع هذا الشيخ لكن بعض ما رواه مشوه بشأن اخيه الاكبر منه سناً . وقال « ١ : ٢٠٠ » عن شجاعته انها توحي الى رواة الاخبار المتجولين ذكرها في انحاء البلاد كما ان الفتيات الاعرابيات يتغنين باعماله الجبارة على سبيل الحث لاحبائهن على الاقتداء به واتخاذه مثالا لهم (وهذه الرحلة في مجلدين مطبوعين في سنة ١٨٤٠ »

« ٢ » الشيخ ناصر الصقر

ان صقراً هذا هو الجد الاعلى لحمولة شبيبة معروفة حتى اليوم بآل صقر . واعتقد ان صقراً هذا هو اخو مانع . ومن المعلوم ان مانعاً هو والد محمد وان محمداً هو والد سعدون وسبب اعتقادي كون صقر هو اخ لمانع هو انه جاء في مخطوط بالفارسية في التاريخ نقل في سنة ١٢٣٣ عن اصل بالعربية ان لمانع كان اخ اسمه صقر . وجاء فضلا عن ذلك ذكر مانع وقتل اخيه صقر في ديوان السيد المولى النقيب جلال الدين ابي المعالي عبد الرؤوف الجد حفصي البحراني في كتاب وجهه الى المولى فرج الله حاكم الحويزة من المشعشعين :

وفي الديوان قصيدة لصاحبه في واقعة البصرة ختمها بشطر التاريخ وهو ١١٠٨ هـ « ٩٧ — ٦٩٦ » ويبين ان قتل صقر كان في هذه الواقعة . وذكر ناصراً شيخاً للمنتفق في سنة ١١٢١ [١٠ — ١٧٠٩] تاريخ بغداد بالتركية المسمى كلشن خلفا التاريخ الذكر] الورقة ١٢٧] وهو مطبوع في استانبول في سنة ١١٤٢ هـ « ٣٠ — ١٧٢٩ » وذلك في كلامه على معارضة مغامس المانع لناصر وفي بيت بالتركية في ديوان المولوي يوسف عزيز [١٨] ، الص ١٣٥ » في الوالي حسن باشا انه استخلف ناصراً من مغامس فهذا هو ناصر الصقر بلا ريب وكان مغامس قد استولى على البصرة في سنة ١١١٧ « ١٧٠٥ » كما جاء في سجل الاباء

« ١٦ » هي ما كان يسمى « ضريبا » . وفي متحف الازياء هنا كفية من هذا النوع كنت اهديتها الى مديرية الاثار القديمة العامة .

« ١٧ » هل يريد ان يقول « ضفائر » كما كانت العادة عند بعض الاعراب وهي لاتزال عند بعض البدو

« ١٨ » نسختة عند الصديق الاستاذ الكبير عباس العزاوي وهو كله في حسن باشا مادحا اياه ومثنيا عليه وقد وصفه الاستاذ في مجلة لغة العرب [٨ [١٩٣٠] ٥٨٨] واظن ان النسخة وحيدة فاننا لانعرف غيرها .

الكرمليين « الص ١٩٩ » الذين كانوا يدونون الوقائع في ايام حدوثها وهم هناك . وراجع احد مقالي اللذين ذكرت نشرهما في لغة العرب تر فيه نص كتاب اعطاه مغامس احد هؤلاء الاباء. والاجدر مراجعة مجموعتي « مباحث عراقية » فان فيه تصوير الكتاب وكان نظمي زاده صاحب كاشن خلفا من ابناء تلك السنين البعيدة والكرملي المدون شاهد عيان وقد شمله انعام مغامس . ومما يدلنا على ان صقراً هذا من رجال تلك السنين ماجاء في مختصر مطالع السعود [الص ٥٩ — ٥٨] في اخبار سنة ١٢٤١ في كلام له على حنيان انه ابن مهنا بن فضل بن صقر وعلي ابن لثامر بن مهنا بن فضل بن صقر الشبيبي .

« ٣ » الشيخ صالح آل ضاغ

كان نقل لي ضائف آل سبتي « هو خال سعدون باشا وآل سبتي من آل شبيب » قبل ظفري بالوثائق التي استندت اليها في هذا المقال ان في آل شبيب صالحين اثنين هما جد وحفيد . فماجاء في الوثائق مصداق لقوله . واذا كان الحفيد عائشاً في سنة ١١٤٥ ومثله الشيخ محمد وابنه الشيخ سعدون كان صالح الجد معاصراً لمانع وربما لابيه وقد ذكر الكتاب الفارسي المنوه به سابقاً معاصرة مانع لصالح فكان صالح الجد من رجال القرن الحادي عشر. اشرت الى هذا القلة ماعرفناه من اسماء آل شبيب من رجال ذلك القرن . ويقال لاحد هذين الصالحين « الاطرش » ونسيت ان ادون في مذكرتي الى ايهما ينسب الطرش والذي ذكر لي ذلك هو ضائف المار الذكر .

« ٤ » للشيخ محمد المانع

لم اعثر على اخباره بتفصيل في ماهو مدون الا ماذكره ياسين العمري في تأريخه المخطوط المسمى غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام وهو انه انتقض على الحكومة في سنة ١١٣٧ « ٢٥ / ١٧٢٤ » وعصاها وهذا قوله : « عصا امير قشعم محمد بن مانع فحاربه والي البصرة عبد الرحمن باشا وقتل ونهب حتى ذل الامير وخضع الكبير فطلب الامان فعفا عنهم باموال كثيرة » اه

وكانت ولادة المؤلف في سنة ١١٥٨ [١٧٤٥] فكانت ايامه قريبة من ايام محمد المانع . وقد وهم في قوله امير قشعم فان محمد ابن مانع هو من آل شبيب وهو شيخ المنتفق .

« ٥ » الشيخ منيخر

اسم غريب في هذه الحمولة وهو ابن ناصر كما سيجيء وكما حققته من الرواة . وناصر هذا ابن صقر كذلك في ماحدثني به هؤلاء الرواة . وقد مر بنا في الوثائق انه ناصر الصقر واذ قد رأينا ان اباه ناصراً هذا كان ضامنا للواء السماوة بضع سنين آخرها سنة ١١٤٥ [٣٣ / ١٧٣٢] وان الشيخ منيخراً كان ضامنها في سنة ١١٥٨ « ١٧٤٥ » يكون قد خلف اباه في هذا اللواء ان لم يكن على اثر وفاة ابيه فبعد حين . وفي رحلة اوتر الفرنسي انه قدم الى البصرة في ١٩ حزيران سنة ١٧٣٩ [ربيع الاول ١١٥٢] وغادرها في ٩ ايار ١٧٤٣ « ١١٥٦ » قاصدا بغداد بطريق الفرات وقص علينا ان الوالي احمد باشا خلع الشيخ سعدونا عن مشيخة المنتفق في سنة ١٧٤١ [١١٥٥] واسندها الى منيخر من اقارب سعدون وان منيخرا لم يتمكن من تأدية ما كان تعهد به من الدراهم فخلعه عن المشيخة واعاد اليها سعدونا لكنه ماعتم ان عصاه فجيش عليه حملة يرأسها الكهية فغادر سعدون المنصورية حيث كان وقصد البادية فارسل الكهيه اعرابا ينتمون الى منيخر ليتجسسوا منزله . وقال : وكان منيخر قد اتفق مع الاتراك للحصول على مشيخة المنتفق فكان كذلك . وروى لنا صاحب الرحلة انه وصل السماوة في ١٩ ايار ١٧٤٣ [ربيع الاول ١١٥٦] وذكر لنا ان ضامنها هو منيخر وانه يستوفي رسوم باهضة على السفن المارة بها ليتمكن من ايفاء ماهو متعهد به من المال الى احمد باشا . انتهى كلام اوتر ملخصاً .

ويظهر ان منيخرا لم يسعده الحظ في البقاء متربعاً على مسند المشيخة الا قليلا وانه فر ملتجئا الى شيخ بني خالد في الاحساء . فقد جاء في مجموعة خطية قديمة وجدتها عند صديق نسخة كتاب لوالي بغداد بقلم كاتب معروف

عند اهل ذلك الزمان اسمه عبدالله نشاطي [من آل فخري الموصليين] انقل عنه بعض مافيه مغفلا الجمل المكررة للمعنى وكلام التهديد والايعاد لطوله :

« والان طرق سمعنا . . . ان منيخر آل صقر المنتفق لاحق بكم ونازل عندكم وذلك لوحشة وقعت ومنافرة اتفقت بينه وبين ابن عمه « قلت هو من حمولته وليس ابن عمه اخي والده » الشيخ سعدون المحمد . وبلغنا انك تبغي التعرض الى نواحي البصرة منتصراً للمزبور منتقما من الشيخ سعدون المذكور . فاياك وركوب هذا الامر الشنيع . . » وتبع ذلك كلام التهديد في صفحة ونصف صفحة وختم الكتاب بقوله : { فحررناه هذا البيورلدي وارسلناه فحين وصوله اليكم . . ينبغي ان تحذروا عما عزمتم عليه وتكفوا عن مجيئكم على الشيخ سعدون . . . واعملوا بموجب امرنا . . وبه الكفاية . فان العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة } انتهى . وليس في الكتاب اسم شيخ بني خالد وليس في النسخة تاريخ الاصل وكان والي بغداد في هذه السنين احمد باشا ابن واليها المتوفى حسن باشا .

وفي كتبي المخطوط التركي اللغة ترجمة هذين الواليين وشيء من اخبارهما مع اخبار بعض الولاة الذين خلفوهما . وفي هذا الكتيب ان منيخراً كان شيخ المنتفق في سنة ١١٦٢ و ١١٦٣ [١٧٤٨ و ١٧٤٩] وانه اعتقل متسلم البصرة حسين اغا في ذهاب هذا الاغا اليها ثم اطلق سراحه لقاء مبالغ من النقود وان منيخرا فر الى البادية في سنة ١١٦٤ { ١٧٥٠ } فالتحق الذين كانوا معه من الاعراب بالشيخ بندر الذي سأذكره في هذه النبذة .

والذي يبين لنا من تاريخ هذا القرار انه قرار ثان غير الذي كان في زمن الشيخ سعدون الذي كان قد قتل قبل هذا الزمن ببضع سنين .

[٦] الشيخ سعدون المحمد

هو ذاك الشيخ العظيم الجليل وان لم يرد له ذكر في الوثائق . وماسبب ذلك الا لأن الزمان الذي نبغ فيه كان من السنين التي لم اعثر على نسخ تذاكر الديوانية وجد اولها ومع ان خطتي في هذه السطور ذكر بعض اخبار الشيوخ الذين جاءت اسماؤهم في الوثائق فحسب فاني لا احب اغفال اسمه هنا ولا سيما لوروده في ترجمة منيخر وورود اسم ابنه ثامر في الوثائق . فقد جاء في اوتر ان الوالي احمد باشا ابن الوالي حسن باشا كان بحاجة اليه ليستعين به عند الاقتضاء ليبقى واليا . وقد ذكرت الرحلة شجاعته وفروسيته ونزوله ميدان القتال بنفسه . وكثيرا ماتؤدي الشجاعة في القتال الى الموت !

ولأوين بعض ما عرفته عن هذا الشيخ حتى مقتله جاء في دوحة الوزراء لاخبار سنة ١١٥٩ { آخرها في نيسان ١٧٣٩ } الدوحة مطبوع في بغداد في سنة ١١٤٦ وهو ذيل على كلشن خلفا { ما ملخصه وهو ان الوالي احمد باشا خرج من بغداد متظاهراً بانه يريد القنص والصيد وهو يقصد غزو بني لام لما كانوا عليه من الاحوال غير المرضية . ثم روى الكتاب رجوع الباشا وماحدث هنالك وتعيينه لسليمان باشا { بل سنرى في اوتر ان الباشوية وجهت اليه بعد هذا التاريخ } ليقوم بالمهام التي انيطت به ثم اماله هذا الباشا للعنان الى ناحية الحسكة { قصبتها اليوم الديوانية } وقدوم رؤساء العشائر اليه مع هدايا ومنهم الشيخ سعدون ثم رأى ان يقبض عليه لما سبق له من التمرد وادعائه انه { سلطان البر } وصحبه الى بغداد واعتقله في القلعة (١٩) ثم اطلق سراحه وكساه خلعة المشيخة واشخصه الى المنتفق شيخا ثم عاد الكتاب يقول كذلك في اخبار هذه السنة ما ملخصه وهو ان الشيخ سعدونا كان قد ضرب خيامه بين النجف والكوفة ومعه نحو عشرة آلاف محارب واستولى على القرى والضياع وحاصر الحلة وهو يقول : { انا السلطان الثاني فما الوزير والعسكر العثماني ! } فخرج اليه الوالي احمد باشا ففر الى جهة البصرة فعقبه وتحصن بالاهوار وقابل عثمان باشا رئيس الاكراد ثم حاصره الوالي بنفسه فاوفد اليه ابناً صغيراً طالباً

{ ١٩ } اليوم مقر وزارة الدفاع

العفو فعفا عنه واعيد ابنه معززاً ورجع الوالي الى بغداد .

قلت كثيراً ماتؤدي الشجاعة في القتال الى الموت وهكذا كان امر الشيخ سعدون فقد جاء كذلك في الدوحة في في اخبار سنة ١١٥١ نفسها ان سعدوناطغا وبغى ما اوجب ان يوفد الوالي الى قتاله سليمان باشا فاسره وقطع رأسه وعاد سليمان باشا الى بغداد وارسل برأس سعدون الى استانبول . انتهى مارأيناه في الدوحة . ولنسمع مايقصه علينا شاهد عيان في رحلة له وهو اوتر الفرنسي المار الذكر . وموجز قوله هو ان المنتفق ثاروا في اوائل سنة ١٧٤١ « اولها في ذي القعدة ١١٥٣ » على الوالي احمد باشا وكانوا يهددون البصرة بالمحاصرة فاتخذ المتسلم * يحيى اغا التدابير الممكنة لصدهم وفي الوقت نفسه اطلع الوالي [والي بغداد] على على الامر وكان هذا الباشا يحارب البلباص (من الاكراد) فعاد سريعاً الى بغداد وقدم الى البصرة في ٥ نيسان ١٧٤١ « محرم ١١٦٤ » ومعه جيش قوامه اربعون الف رجل واربعة عشر مدفعاً ومرامي قنابر فسار في ١٠ من الشهر الى نهر عنتر فوق البصرة على مسير ست عشر ساعة حيث كان سعدون فكانت مناوشات قليلة ثم كان الصلح بينهما وعاد الباشا الى بغداد وكان قبل هذا قد خلع سعدوناً عن المشيخة واعتقله في بغداد وقلدها الشيخ منيخراً ولكن منيخراً لم يؤد ما كان مكلفاً به من المال الى الباشا فخلعه في السنة نفسها واعاد سعدوناً الى المشيخة . وفي تلك السنة ارسل اليه تفنكجي باشي في شؤون فعاد منه مغبراً واخبر الوالي بان المنتفق ثائرون . والظاهر ان الباشا كان راضياً عن هذه الحالة . لان السلطان كان فصله عن البصرة التي كانت تدر عليه اكثر من عشرة آلاف كيس من الغروش { الكيس خمسمائة غرش } وقلدها حسين باشا والي الموصل { من الجليليين الموصليين } ورضاؤه هذا عن سعدون هو ليستعيد اليه البصرة بهذه الوسيلة مظهراً للحكومة في استانبول انه بامكانه ان يخضع سعدوناً وليس لغيره الذي يعين والياً للبصرة ان يقوم بهذه المهمة . وكانت تعديات المنتفق كثيرة وازدادت

* تقابل اليوم لفظة المتسلم لفظة متصرف

حينما جاء الى البصرة سيفي بك متسلم حسين باشا في تشرين الاول . وكان سعدون في افعاله هذه يعين احمد باشا في افكاره فنزل بقرب البصرة واخذ يغرم كبار الاهلين نقود اوخيلاوالبسة وكل مايريده . والزم المتسلم بان يتحفه بهدايا ثم انقطعت هذه المظالم في وقت لم نتوقع فيه هذا التغيير لارتحال سعدون الى قرب القرنة اسبب ان البصرة اعيدت الى احمد باشا على ماقيل .

هذا وبينما كانت البصرة في امن وسلام كان احمد باشا يرى منفعته في جعل الباب « استانبول » يعتقد ان ثورة الاعراب خطيرة فارسل اليهم جيشاً بقيادة الكهية سليمان بك فوصل الى المنصورية « على الفرات » حيث كان سعدون الذي نزل هنا ليتجنب ملاقاة البك وجيشه ثم رحل سعدون الى جهة البادية (الشامية) ولم يقف الابعدان جعل المسافة بينهما مسير خمس عشرة ساعة وكان يعتقد انه في أمن تام من يحارب . ومن حقه ان يكون اعتقاده هذا لو أن الكهية انقاد الى اوامر الباشا المكررة وهي ان لايعارض سعدوناً اذا انسحب عنه ولكن الكهية اراد ان ينتقم من سعدون لاهانات سابقة اهانه بها وازدراء به فصمم على اهلاكه فارسل للكشف عنه اعرابا منتمين الى منيخر ابن عم سعدون (ابن عم بعيد) .

وكان منيخر قد التحق بالترك يامل تقليده مشيخة المنتفق وهكذا كان . وذهب هؤلاء الرجال وعادوا فاخبروا الكهية بمقام سعدون فوصل اليه فاستغرب سعدون ذلك وقد علم ان المطلوب اهلاكه فحارب بعنف وشدة تفوق العادة وخرق مراراً صفوف الاعداء . وكم جندل برمحه وسيفه من قابله خلال ثماني ساعات ثم عجز عن التقتيل العنيف فقبض عليه احد اغوات احمد باشا بعد صراع شديد فاتى به الى الكهية فامر بقطع رأسه حالا { ٢٠ } حذرا من ان الباشا

يتبع

يعقوب سركيس .

{ ٢٠ } ان الحروب سجال . وقد قتل عبد الله باشا والي بغداد كما قتل سعدون . وقاتل الباشا راشد الثامر حفيد سعدون في سنة ١٢٢٨ { ١٨١٣ } كما ذكرته نبذة —